Editor-in-Chief
Fakhri Karim
Al Mada
General Political daily
12 February. 2011
http://www.almadapaper.com
Email: almada@almadapaper.com

16 صفحة
500 دينار

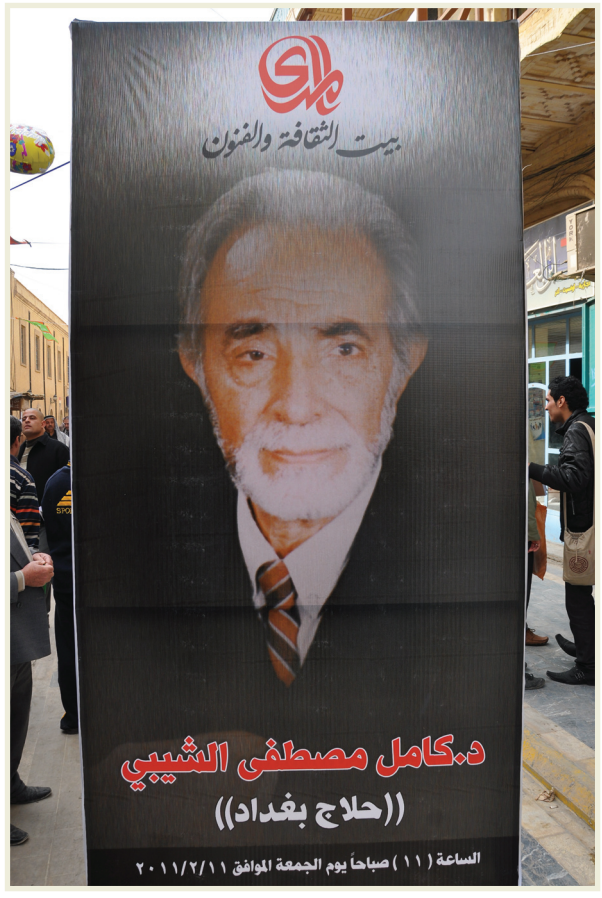

طه جزاع

كاظم الوكيل

طالب الخفاجي

غالب الشابندر مع مقدم الحفل

لم يكن كامل مصطفى الشيبي عابراً في حياة الثقافة العراقية، أستاذ الفلسفة الإسلامية في جامعة بغداد، وأحد اهم الباحثين في شؤون هذه الفلسفة وقضاياها، وما جاورها من شخصيات وآداب وفنون. وهو ولد في بغداد العام ١٩٢٧، ودرس الأدب في جامعة الاسكندرية، ثم اكمل دراسته العليا في الفلسفة في الجامعة ذاتها، ثم في جامعة كيمبردج التي حصل فيها على دكتوراه في الفلسفة العام ١٩٦١، لينتظم، منذ ذلك التاريخ، استاذاً في قسم الفلسفة في جامعة بغداد، ثم في جامعات عربية وغربية.
وشأنه شأن الكثير من أبناء جيله من الباحثين والاساتذة الجامعيين، فحياته العلمية توزعت بين اهتمامين أساسيين. فمن جانب، كانت هناك الدراسات الفكرية والفلسفية التي كان حريصاً على ان يبحث ويكتب في ما لم يكتب فيه من قبل، فجاءت اكثر من دراسة له في هذا المجال، وفي الذروة منها كتابه «الصلة بين التصوّف والتشيّع».

بيت المدى يحتفي بحلاج بغداد

كامل مصطفى الشيبي عاشق المهمشين الفقراء

نورا خالد / محمود النمر
تصوير / ادهم يوسف

ومن جانب آخر كان تحقيق النصوص الذي اتخذ فيه منحى يمكن ان نطلق عليه «جمع المتفرق». فهو لم يأخذ، في عمله هذا، مخطوطاً جاهزاً، كاملاً او قريباً من الاكتمال، فيحققه، وانما تنكب الطريق الاصعب المتمثل في اختيار موضوعات، او شخصيات، تمثل ما يمكن ان نعده حياة متطرفة او واقعاً من هذا القبيل، ثم البحث عن تراث هذه الشخصية، كما فعل مع اشعار الحلاج، بعدما وجد ان المستشرق لويس ماسينيون، على اهتمامه الكبير به، قد ظلمه بإصداره نصاً لأشعاره وجده الشيبي «مليئاً بالأخطاء اللغوية والنحوية والتفسيرية»، على ما جاء في مقدمة تحقيقه ديوان الحلاج. وهناك جمع النصوص التي «صنع» منها موضوعات

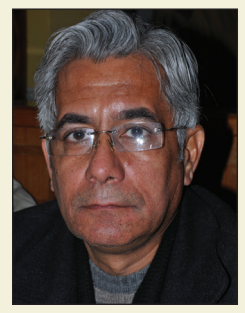

حين نتحدث عن مفكر وأكاديمي كبير كتب في موضوع الفلسفة الإسلامية بل اخذ مفصلا اكبر في تسليط الضوء على الفكر الشيعي وعلاقة التشيع بالتصوف الإسلامي كون اغلب المتصوفة من المفكرين والفلاسفة المسلمين كانت لهم ارتباطات وقرارات في مفهوم التشيع في ظل الدولة العباسية.. أقولها بصراحة وبمرجعية ان كامل الشيبي هو أول من وضع دراسة أكاديمية وقدم أطروحته الفكرية عن التصوف والتشيع في العالم العربي وله الريادة في الدخول وإعادة ربط وافتتاح المفاهيم الفلسفية في الفكر الشيعي وعلاقتها بالتصوف.

جمال الهاشمي
شاعر وكاتب

متكاملة بعدما أهملها الباحثون والمحققون المعاصرون. فجمع وحقق «ديوان الدوبيت» الذي كان لصدوره اوائل السبعينيات صدى واسع في الأوساط الأكاديمية والمعنية بالأدب القديم، وقد حظي بأكثر من جائزة. وعلى النهج ذاته مضى في جمع «ديوان الكان وكان" وتحقيقه و «ديوان القوما»- وكلها فنون شعرية شعبية عرفها أدبنا العراقي في فترات من تاريخه.
إلا ان الشيبي انعطف في الحقبة الأخيرة من حياته نحو جانب مثير وطريف في التراث العربي، هو ما تمثل في الكتابة عن «المهمشين" في هذا التراث، والتعريف بـ «البهاليل" الذين اراد ان يجعل لهم شأنهم في عصره بعدما عاشوا على هامش الحياة والأدب في عصورهم. فكتب عن «البهلول بن عمر الكوفي" داعياً اياه بـ «رائد عقلاء المجانين». وهو كما قال عن نفسه يوماً، من حيث الاهتمام بمثل هذه الموضوعات التي لم يقترب منها سواه من الباحثين، انه يحب «الخوض في الموضوعات المجهولة والمهملة التي تستحق الاهتمام وتفتقدها الثقافة».
ويبدو أن رحلة حياته التي انتهت في بغداد انعكست على اهتماماته الادبية والفلسفية والبحثية، فكان الكثير مما كتب بمثابة استجابة، ذاتية وعقلية، لما عاش وواجه في مسارات حياته. ووجد في ما حقق تمثيلاً لجوانب من معاناته، اذ حقق ديوان «الحلاج" في فترة عصيبة من حياته، وكتب عن «المهمشين" و «البهاليل»، واعاد الى دائرة الضوء عدداً من المنسيين في التراث العربي في حقبة طاله فيها النسيان والتهميش. ولم يكن كتابه الاخير عن الموت، الذي أوصى ان يطبع بعد وفاته، سوى استجابة لنداء اعماقه، ذلك النداء الذي كان يستجيب له دوماً، وفي صور مختلفة.
اما هويته الفكرية والعلمية، فحددها بالكلام على شخصه. فهو – كما قال- ممن «ينفردون بأفكار ومناهج قد تكون غير مرضية لدى الأغلبية التقليدية من الباحثين والسلطات هنا وهناك». إلا ان ذلك لم يكن يعنيه في كثير او قليل فقد ظل طوال حياته العلمية مدافعا عن آرائه ومعتقداته العلمية والفكرية، نصيرا لفقراء هذا البلد مثلما كان شيخه الحلاج نصيرا ومدافعا عن فقراء بغداد.
عن حلاج بغداد اقام بيت المدى في شارع المتنبي فعاليته الاسبوعية التي ابتدأت بعرض فيلم وثائقي قصير بعنوان (العالم المتصوف) عن حياة الراحل، بعد ذلك تحدث مقدم الحفل الإعلامي رفعت عبد الرزاق الذي قال:
تستذكر المدى اليوم د. كامل مصطفى الشيبي أستاذ الفلسفة في جامعة بغداد والمؤلف القدير وصاحب المؤلفات التي سارت مسير الإنسان وأصبحت من المصادر التي لا يستغنى عنها.. الشيبي عالم عراقي كبير ولكن في هذا البلد الذي كثيراً ما غابت عنه وسائل الاحتفاء برموزه وأسمائه الكبيرة، تعرض في حقبة من حياته الى الكثير من الضغوط والمضايقات حتى أنه وضع في مكان بعيداً عن مؤهلاته ومؤلفاته التي اشتهرت اشتهاراً كبيراً في الأوساط العلمية والاستشراقية العربية وغيرها.
الشيبي صاحب كتاب (الصلة بين التصوف والتشيع) وكتاب (الفكر الشيعي والنزعات الصوفية) وكتاب (الطريقة الصفوية ورواسبها في العراق المعاصر) وهو الذي جمع ديوان (الحلاج) في مجموعة علمية جديدة استغرق فيها الكثير على ما جمع من قبله وهو من تأليف ماسينيون وشرح هذا الديوان شرحاً علمياً واسعاً واعتذر عن الحلاج في كثير من التوابع التي يؤخذ بها الحلاج في كتب الفقهاء المتصوفة.

غالب الشابندر: فيلسوف التصوف

لم يكن كامل الشيبي عالماً متصوفاً دائماً، كان فيلسوف تصوف وأصبح متصوفاً وفارق كبير بين هذه المديات والمعادلات، المعروف عن هذا الرجل انه انتهج منهجاً خاصاً في الدراسة، لقد عمل على تشريح التصوف

الشيبي هذا الشاعر الصوفي الذي جاهد وناضل من اجل إعلاء كلمة الحق والعدالة وبدأ يبحث عن الحقيقة على ضفاف دجلة البشائر دجلة الإبداع والتألق ليخلق وراءه سراً إلهياً سرمدياً خالداً في سجل الخالدين المبدعين الذين خدموا الإنسانية والثقافة.
هذا الإنسان المشاكس ترك بصماته في الحياة التدريسية والتعليمية والثقافية بشكل ملفت للنظر والإعجاب والتقدير بمواقفه الطريفة والجميلة والمحببة في نفوس أقرانه البغداديين الذين يشتهرون بحب الحياة والأدب والثقافة والإنسان.

فوزي أكرم ترزي

بأدوات صوفية وليس بأدوات علمية خارجة عن مملكة التصوف فهو رائد مدرسة تقوم على التماهي بين الآليات والأحداث وبين المادة والأدوات، وهو بذلك اختلف عن المرحوم محمد عابد الجابري الذي حاول ان يشرح التراث على ضوء آليات غريبة خارجة عن مملكة التراث ذاته واستخدام مبدأ القطيعة ومبدأ التفكيك واستخدام ربما حتى مبدأ المعنى المتأخر والمؤجل، أما كامل مصطفى الشيبي فقد نبع من التصوف وعاش في داخل التصوف وفكر تفكيراً صوفياً، لذلك فهو فيلسوف تصوف وليس عالماً متصوفاً أهتم الشيبي اهتماماً بالغاً بمسألة (التحقيب) كان المصطلح الصوفي يحاول ان يكتشف جذره الأساسي ولم يهتم بالبيئة للجذر الجغرافي بقدر ما يهتم بالبيئة الفكرية لهذا الجذر، ومن هنا كانت عمليته البارعة في اكتشاف الصلة ما بين التصوف والتشيع، وذلك من خلال إبحار عميق في مصطلحات التصوف بما فيها المصطلحات الصوفية المتأخرة التي ابتدعت على يد الغزالي وغيره، ولكنه كان يختلف عن الغزالي اختلافاً كبيراً بما ينسجم الى حد كبير مع الحلاج واعتقد ان أسباب هذا الاختلاف ان المتصوف الكبير الغزالي انتمى الى السياسة الى حد ما بينما الحلاج خرج عن أسس السياسة وربما بعض الدراسات الحديثة تؤكد ان أهداف الحلاج لها قضية سياسية قبل ان تكون قضية فكرية، والنقطة الأخرى أنا أسميه شهيد الفكر الصوفي، فالشيبي كان متأثراً بماسينيون ولكنه خرج عن نطاق ماسينيون لأن ماسينيون درس الحلاج منطلقاً من الصوفية المسيحية الى حد كبير، أما الشيبي فانطلق لدراسته للحلاج من الصوفية الشرقية، لذلك كان مغرماً بشهيد الفكر الصوفي الشيبي بقراءة التصوف الشرقي عند الفرس، كان مغرماً أيضاً بدراسة التصوف عند الهنود ونجد آلية التصوف الشرقي هي إحدى أدوات تحليله لشخصية الحلاج، بينما ضاق ماسينيون بشكل غير موضوعي الى حد ما في مراءاته للحلاج عندما أخضعه لآلية صوفية مسيحية الى حد ما، ولذلك كان شهيدنا الكبير مغرماً بالشرق مغرماً باللغة العربية.
وحاول في بعض دراساته الحلاجية اكتشاف شبق صوفي في نفس اللغة العربية ونفس المفردة العربية مما يدل على انه كان عالماً لغوياً.. كتابه (الصلة بين التصوف والتشيع) أدخل فيه الكثير من المفاهيم الدقيقة والمفاهيم الصحفية ومن جملة هذه المفاهيم هي وحدة الفكر ما بين التصوف والتشيع وأرجع ذلك ليس لأسباب سياسية فقط وإنما الى أسباب سياسية وروحية نتجت عن الإيمان بالتراث القديم، قد تكون فيها بعض الهفوات ولكن لا تخلو من صحة ولا من دقة، كان هدفه الأخير حسب علمي الشخصي ودراستي لمدة سنتين متواليتين كان هدفه الكبير هو تكوين مجتمع صوفي والمجتمع الصوفي في تصور كامل الشيبي هو ليس مجتمع الخمول والسكون وإنما هو مجتمع العمل الصالح، وكانت له رؤية دقيقة هي ان الآيات القرآنية الكريمة التي تستعرض العمل في سبيل الله يمكن استبدالها رمزياً العمل في سبيل الناس، وذلك لأنه كان يعرف أنه رضا الله في رضا الناس وان رضا الناس من رضا الله وبهذا قد يكون ارتفع روحياً وأعطى للعمل المادي إطاراً صوفياً وإطاراً روحياً، وكان يؤمن بأن العمل المادي إذا أطر أخلاقياً يشكل جوهر التصوف ويشكل جوهر النظرية الأخلاقية.. ونحن ندعو اليوم في عراقنا المعاصر التجديد في مفهوم الأخلاق، فالأخلاق ليست غياباً سارداً ولا عيشاً على هامش الحياة، بل هو العمل المادي نفسه والمتعة المادية ولكن في إطار من جمال الروح وبدافع من النية الطيبة ومن خلال
هدف يعيد في خدمة الأنا والآخر، أي ان العمل الأخلاقي الصحيح هو ذات وموضوع في آن واحد.

شكراً لبيت المدى للثقافة والفنون على إحياء ذكرى الدكتور كامل مصطفى الشيبي، الأستاذ الفاضل العالم والفيلسوف المتصوف، الخلود لفيلسوفنا الكبير، ونبقى نقول إن العمل للإنسان.. وشكراً

المهندس علي التميمي

طالب الخفاجي: عاشق الحلاج

المتحدث الثاني كان الدكتور طالب الخفاجي الذي قال: إن كتاباته عن الحلاج تعد المرجع المعاصر الاول الذي يجب الرجوع اليه للكشف عن ملامح تلك الشخصية العجيبة التي كان لها أثرها الديني في تاريخ الاسلام، كما كان لها آثارها العميقة في التاريخ السياسي لهذه الامة منذ أواخر القرن الثالث الهجري حتى يومنا هذا. واضاف قائلاً وكذلك ينبغي ان نشيد بالجهد العظيم الذي بذله الشيبي من جمع مادته وحشد النصوص والوقائع من التراث الفكري في الإسلام، ويكاد يدفعنا إلى القول بان نوعاً من المودة بين الشيبي والحلاج هو الذي ساعده على بذل هذا الجهد الخارق للعادة
واضاف الدكتور الخفاجي ان الدكتور الشيبي اسهم بكتابة ثلاثة كتب عن الحلاج واربعة ابحاث عن ماسينيون
الكتب: ١- ديوان الحلاج الذي أسبغ فيه على النصوص الحلاجية روحاً عربية واضحة. وظهرت الطبعة الاولى منه في بغداد ١٩٧٤ والطبعة الثانية المزيدة والمراجعة سنة ١٩٨٤، والطبعة الثالثة في دار الجمل في المانيا سنة ١٩٩٧.
٢- شرح ديوان الحلاج، طبع في بيروت، ١٩٧٤.
٣- الحلاج موضوعاً للآداب والفنون الشرقية والعربية، طبع في بغداد سنة ١٩٧٦.
الأبحاث: ١- شعر الحلاج، مجلة الرابطة (النجفية- العراقية) العدد ١٩٧٦/٦.
٢- مصنفات الحلاج، مجلة البيان (الكويتية) العدد ١٢١/ ١٩٧٦.
٣- ذيل ديوان الحلاج، مجلة زانكو، جامعة السليمانية ١٩٧٧.
٤- الحلاج في الأدب المقارن، مجلة كلية التربية، طرابلس، العدد ٢١/ ١٩٩٦.
وقد كان الشيبي يحب الحلاج مثل حب المستشرق الكبير ماسنيون له الذي كتب ابحاثه المعروفة عن الحلاج والتصوف والخط والادب التي اعجب بها الباحثون والفنانون والروائيون والقراء. ومن اوائل من تأثر به شاعر العراق وفيلسوفه جميل صدقي الزهاوي. كما ان كتابه الذي ترك تأثيراً كبيراً هو (كتاب الطواسين) الذي طبع عدة طبعات وكتب عبد الباقي سرور كتاب (الحلاج شهيد التصوف الاسلامي) وطبع في القاهرة ١٩٦١. وظهر كتاب في الالمانية من تأليف الاساتذة (آنه ماري شيميل) سنة ١٩٦٨. وكتب محمد جلال شرف كتاباً عن الحلاج اسمه (الحلاج الثائر الروحي في الاسلام سنة ١٩٧٠ في الاسكندرية. وكتب سامي طربليل كتاباً اسمه (اسطورة الحلاج) نشره سنة ١٩٧٩. واصدر الفنان سامي مكارم كتاباً اسمه (الحلاج فيما وراء المعنى والحظ واللون) نشره سنة ١٩٨٩.
ومن وحي كتب الحلاج وبخاصة سيرته ظهرت مجموعة من الروايات منها كتاب (الحلاج أو وضوء الدم) لميشال فريد غريب ورواية (الشهداء والشهود) للكاتبة العراقية لطفية الدليمي نشرتها مجلة آفاق عربية سنة ١٩٧٦. وفي عالم المسرح ظهرت مسرحيات تأثرت بالحلاج ومنها مسرحية صلاح عبد الصبور (مأساة الحلاج) طبعت في بيروت سنة ١٩٦٥. وكتب عدنان مردم بك مسرحية شعرية للحلاج من اربعة فصول اسمها (الحلاج) نشرت في بيروت سنة ١٩٧١. وظهرت مسرحية بالانكليزية عن الحلاج كتبها الاستاذ هربرت ميسون الامريكي (موت الحلاج). وفي مجال الشعر أثرت آراء ماسينيون وعروضه لإشعار الحلاج في الشعر العربي وعدّوه بطلاً من ابطال الكفاح الانساني وجعلوا ينظمون في شجون كفاحه وثباته اشعاراً تعلو به عن مستوى الانسان العادي. وقد تبناه منهم المتحررون واليساريون على الخصوص ومن أولهم الشاعر علي احمد سعيد (أدونيس) الذي نظم قصيدته التي عنوانها (مرثية الحلاج). وتلاه الشاعر عبد الوهاب البياتي باشعار كثيرة منها تلك التي وردت في كتابه سفر الفقر والثورة.

طه جزاع: الشيبي عقل جبار ومتصوف متواضع

بعدها تحدث د. طه جزاع قائلاً: في هذا الحفل الاستذكاري كان من المقرر ان يتحدث عدد من تلامذة الشيبي الذين أنجزوا رسائلهم واطاريحهم في التصوف والفلسفة الإسلامية تحت يديه، أمثال د. علي الجابري ود. نظلة الجبوري ود. حسن مجيد العبيدي، الا ان الظروف في بغداد لهذا اليوم لم تسمح لهم بالمجيء وأتقدم نيابة عنهم بالاعتذار للشيبي أولا ولكم أيها الحضور الكريم.
لن أتحدث بالتفصيل عن إنجازات الشيبي في الفلسفة والأدب والتحقيق والتصوف والحب العذري وجهوده التراثية الهائلة، لأن ذلك ما تناولته في المقالة المنشورة اليوم في ملحق (المدى) المخصص لهذه المناسبة، غير اني سأتوقف عند جانب عملي من حياته الزاخرة حصلت عليه من تلامذتي في الدراسة الجامعية الأولية والعليا ومرافقتي للشيبي لأكثر من ثلاثين عاما ابتدأت منتصف السبعينيات من القرن الماضي وانتهت عملياً برحيله في الرابع من أيلول ٢٠٠٦ غير انها لم تنته حتى الآن، إذ ما زالت روحي تعانق روحه وتستمد منها المواقف والأحكام والتصورات عن الحياة والموت ومعنى ان يعيش الإنسان زاهداً متصوفاً منسجماً مع نفسه متسامحاً مع الآخرين يفيض بالمحبة لكل شيء في الوجود لأنه يستمد هذه المحبة من خالق الوجود والإنسان والأكوان.
وهذا هو الجانب العملي الذي اقصده في شخصية الشيبي، إذ ان السؤال القائم.. هل كان الشيبي متصوفاً؟ إننا ان صبنا التصوف والزهد في الملبس وطقوس الدروشة والإحجام عن الحياة فإننا نكون قد أصبنا بالنفي، لكن إجابتنا ستكون بالإثبات حتماً

ان حب الله في محبة الناس، ومحبة الناس في حب لله، هكذا فهم الشيبي مفهوم التصوف وهكذا عاش في حياته، بل وراح بعيداً حين ظل يبحث عن المهمشين والمنسيين، مندفعاً بفكرة فذة، ان الأفكار الرائعة العظيمة تخرج حارة ودافئة من هذه التنانير البعيدة، إذ لا يمكن ان تتوقف الحياة شعرياً عن قرنها الرابع الهجري وعن أبي العلاء وتتوقف فلسفة عند ابن رشد، الحياة تستمر لكن الضوء دائماً وبشكل مقصود يشيح عن مبدعين حقيقيين، كان الحلاج واحداً منهم، فكم ابتلعت مياه دجلة أفكاراً عظيمة وغاصت بها بعيداً لا لشيء إلا لكونها مختلفة عن سياق الفكر المرسوم في السلطة.
رحم الله الشيبي فقد كان مختلفاً أيضاً.

د. طالب المحسن

لو نظرنا الى التصوف والزهد بكونهما سمواً روحياً وأخلاقياً، لم يكن الشيبي الا معتدلاً في الملبس والمأكل وملذات الحياة، كان يأخذ من الحياة أقل بكثير مما كان يعطيها.. أعطاها الذهن المتوهج والقلم المدقق المحقق المثابر واعطاها صحته وشبابه وماء عينيه.. اعتكف طويلاً مع المتصوفة بالشعراء والزهاد والمجانين ونزل الى الشوارع والمدن بحثاً عن قبورهم ومقاماتهم مثلما فعل مع الحلاج في قصته المعروفة بحثاً عن قبره على ضفاف دجلة، حيث صُلب وقطع واحرق.. رحم الله الشيبي إنساناً راقياً وقلباً رحيماً وعقلاً جباراً ومتصوفاً علمنا ان جوهر الحياة هو التواضع والمحبة والتسامح.

طارق حرب

أصابت المدى بتسميتها للشيبي في اصبوحتها الثقافية بأنه الحلاج كيف لا وهو آخر المتصوفة وآخر الفلاسفة فطالما كان يردد افكار المحدثين من الفلاسفة بالسابقين فلسفة القرون الحديثة مع فلسفة ابن رشد الذي كان يردد(نحن شاكون في كل شيء ونحن شاكون في اننا شاكون) وهذه فلسفة الشك فلسفة ديكارت. إن الشيبي آخر المتصوفة وآخر الفلاسفة لإيمانه بقول المتصوفة إن من:
حصل على العلم دون التصوف فقد تزندق.
وإن من حصل على التصوف دون العلم فقد تزندق.
وإن من جمع العلم مع التصوف فقد تحقق
فهناك زنديق وهناك فاسق وهناك محقق، عندما يجتمع العلم والتصوف وهذا هو حال مرحومنا الشيبي فقد جمع علم الغزالي وابن عربي ومعروف الكرخي والسري وسواهم من المتصوفة مع إحاطة تامة بآراء المعتزلة وراء أخوان الصفا وآراء ابن المقفع وغيرهم في عقل جامع وقلب دافع هو هذا العقل الذي عندما يتكلم وكيف نسمعه، كنا نسمع الحلاج بقوله (أنا الحق) وقوله (الله في جبتي).. فنعما لرجل طار بجناح تصوف وجناح فلسفة بخزين من علوم الأولين والآخرين وسلاما عليه يوم كنا نسمع إليه ونحن كمن أصابنا الصمم والخرس في محرابه